الأبعاد التربوية لتعزيز مبدأ الفطرة في الإسلام ومخاطر مخالفتها في الواقع العاصر

THE EDUCATIONAL DIMENSIONS TO ENHANCE THE PRINCIPLE OF INSTINCT IN ISLAM AND THE DANGERS OF VIOLATING IT IN THE CONTEMPORARY REALITY.

عامر زكريا عقاد [1]

ABSTRACT:

The Islamic religion is the integrated (Rabbinic) approach, which is appropriate for human instinct. Because it came from the Creator, the Almighty, to formulate the human personality an integrated balanced formulation. Do not raise it to the (Makam) of divinity And do not descend it into an animal life, but this religion is to make him the best ideal on the earth, but this religion is to make him the best ideal on the earth, and the pursuit of legalization Homosexuality and moral degeneration, as a result of contemporary globalization, and under the pretext of respecting freedoms. All these are brought us in front of a new stream of inhumanity that takes the human being away from balance and temperance, between excessive and negligence. Which Muslim youth lose that (Rabbinic) compass, to leave them confused and lost with no goal or purpose. Preserving the instinct is not an individual responsibility only, but it is a collective responsibility, and the returning the human being to the sources of instinct and its establishing it is the first thing . That reformers and educators

[1] باحث للدكتوراه في كلية العلوم الإسلامية، في جامعة يلوا بتركيا.

should pay attention to if they want a good generation to be away from getting lost and decadent. The research aims to shed light on the importance of establishing the innateness principle in education. The research aims to shed light on the importance of establishing the innateness principle in education, And a statement of its positive effects for society, and the negative effects of contemporary reality on humans as a result of the departure from this principle and its absence, It also sheds light on the means that had a great impact in neutralizing the instinct and spreading decadence.

KEYWORDS*:* principles, Education, Instinct, Contemporary reality.

الكلمات المفتاحية: المبادئ، التربية، الفطرة، الانحلال، الواقع المعاصر.

ملخص البحث:

إن المنهج الإسلامي الإلهي هو الأنسب للفطرة الإنسانية، فهو المنزل من عند الله عز وجل خالق هذا الإنسان لصياغة شخصيته باتزان وتكامل، فلا يرتفع به لمقامات الألوهية أو يدانيها، ولا ينحط به لمصافي الشهوانية وانحداراتها، إنما جعله خليفة في الأرض يعمرها ويقيم شرع الله فيها؛ وما نشهده اليوم من تغيب للفطرة السليمة وتشويه لها والتنحي بها تجاه المهالك والسعي نحو شرعنة الشذوذ والانحلال الأخلاقي – من تبعات الحداثة وما بعدها والتفكيكية وآثارها وبدعوى احترام الحريات الشخصية–جعلنا أمام تيار جديد من اللاإنسانية التي تذهب بالإنسان بعيدا عن الاتزان والاعتدال ما بين إفراط وتفريط، والتي تفقد الشباب المسلم تلك البوصلة الربانية لتتركه حائرا ضائعا بلا هدف ولا غاية.

إن الحفاظ على الفطرة ليس مسؤولية فردية فحسب بل هي مسؤولية جماعية، وإن العودة بالإنسان إلى منابع الفطرة وترسيخها هو أولى ما يجب أن يتنبه إليه المصلحون والتربويون والدعاة إذا ما أرادوا جيلا صالحا بعيدا عن التخبط والانحلال.

ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على أهمية ترسيخ مبدأ الفطرة في التربية، وبيان نتائجه

الإيجابية على المجتمع، وما آل إليه الواقع المعاصر من آثار سلبية على الإنسان نتيجة للابتعاد عن هذا المبدأ وتغيبه، وكذلك يسلط الضوء على الوسائل التي كان لها الأثر الكبير في تحييد الفطرة ونشر الانحلال.

المقدمة:

إن المنهج الإسلامي الإلهي هو الأنسب للفطرة الإنسانية، فهو المنزل من عند الله عز وجل خالق هذا الإنسان، لصياغة شخصيته باتزان وتكامل، فلا يرتفع به لمقامات الألوهية أو يدانيها، ولا ينحط به لمصافي الشهوانية وانحداراتها، وخصه –جل وعلا–بتكريم يليق به وبكونه خليفة في الأرض ليعمرها وينشر منهج الله بين ربوعها ويقيم شريعته فيها.

لذا كان على الإنسان المسلم أن يحترم هذه المكانة التي أنزله الله إياها، وألا يهبط بها عن مستواها الإنساني الرفيع الذي خصه الله به عمن سواه. إلا أن ما نشهده اليوم من تغيب للفطرة السليمة وتشويه لها والتنحي بها تجاه المهالك والسعي نحو شرعنة الشذوذ والانحلال الأخلاقي ـ من تبعات الحداثة وما بعدها والتفكيكية وآثارها وبدعوى احترام الحريات الشخصية ـ جعلنا أمام تيار جديد من اللاإنسانية التي تذهب بالإنسان بعيدا عن الاتزان والاعتدال ما بين إفراط وتفريط والتي تفقد الشباب المسلم تلك البوصلة الربانية لتتركه حائرا ضائعا بلا هدف ولا غاية.

إن الحفاظ على الفطرة ليست مسؤولية فردية فحسب بل هي مسؤولية جماعية، وإن العودة بالإنسان إلى منابع الفطرة وترسيخها هو أولى ما يجب أن يتنبه إليه المصلحون والتربويون والدعاة إذا ما أرادوا جيلا صالحا بعيدا عن التخبط والانحلال.

وهذا البحث يهدف إلى تسليط الضوء على أهمية ترسيخ مبدأ الفطرة في التربية، وبيان نتائجه الإيجابية على المجتمع، وما آل إليه الواقع المعاصر من آثار سلبية على الإنسان نتيجة للابتعاد عن هذا المبدأ وتغيبه، وكذلك يسلط الضوء على الوسائل التي كان لها الأثر الكبير في تحييد الفطرة ونشر الانحلال.

أهمية الدراسة: تأتي أهمية الدراسة من كونها تؤكد أهمية المبادئ الإسلامية في التربية والتي

من أهمها مبدأ الفطرة، وتزيل الغشاوة عما علق بها من مفاهيم معاصرة تضعف أثرها في الفرد والمجتمع، وتسلط الضوء على وسائل تغييبها مع تقديم الحلول المناسبة لذلك.

هدف الدراسة: تقتضي الدراسة تصحيحا للمسار واستدراكا لعملية التربية والبناء الفكري والمعرفي للإنسان زيادة على إعادة بلورة بعض المفاهيم وتصحيحها ضمن الإطار التربوي والفكري والمعرفي.

الدراسات السابقة: يوجد العديد من الدراسات التي تكلمت عن مفهوم الفطرة في سياق الاعتقاد والسنن وكذلك التربية وأثرها في الأخلاق؛ إلا أنني لم أقف على دراسة تركزت على بيان أبعاده التربوية وأثر تغييبه ووسائل ذلك، خاصة في واقعنا المعاصر.

خطة البحث: تأتي خطة البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

فأما المقدمة: ففيما يخص البحث وما يقدم بين يديه.

وأما المبحث الأول: فحول المفاهيم التي وردت في العنوان من حيث التوصيف.

وأما المبحث الثاني: ففي الأبعاد التربوية لتعزيز مبدأ الفطرة في الإسلام.

وأما المبحث الأخير: ففي مخاطر الابتعاد عن الفطرة ومحاربتها في الواقع المعاصر.

وأما الخاتمة ففي النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

حول المفاهيم التي وردت في العنوان من حيث التوصيف

أولاً: تحرير المصطلحات:

الأبعاد: جمع بُعد والبُعدُ: اتّساع المدَى، بُعْد الشُّقة: اتّساع المسافة، وأبعاد الموضوع أي مدى اتساعه وتأثيره وارتباطَاته وأبعاد مسألة: أهميتها ومظَاهرها العملية.[2]

التربوية: ربا الشيء يربو ربواً، أي زاد. وربوت في بني فلان وربيت، أي نشأت فيهم.

[2] معجم اللغة العربية المعاصرة د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م مادة بعد وانظر المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمّد النجار) دار الدعوة مادة بعد

ورب الصبي تربية أحسن القيام عليه ووليه حتى يفارق الطفولية كان ابنه أو لم.[3]

المبدأ: مبدأ الشيء أوله ومادته التي يتكون منها ومبادئ العلم قواعده الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها.[4]

الفطرة: بالكسر: **الخلقة**. والفطر: الابتداء والاختراع. ويدل عليه قوله تعالى: (الْحَمْدُ للَّه فَاطِر السَّمَاوَات وَالْأَرْض) وقول الأعرابي: أنا فطرتها أي: أنا ابتدأت حفرها.

والفَطَر أيضا: **اَلشق**. ويدل عليه قوله تعالى : (إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ) أي: انشقت.

وترد بمعنى **الوهن**، أو الاختلاف، أو الاختلال، يدل عليه قوله تعالى (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى من فُطُور)

وهذهَ المعانيً بجميعها تعود إلى معنى الخلق والشق. وهي هنا على صيغة اسم الهيئة أي الحالة التي يكون عليها كل موجود أول خلقه قال تعالى: (وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) أي خلقني.[5]

الإسلام: أسلم أمره إلى الله، أي سلَم. وأسلم، أي دخل في السلم، وأسلم من الإسلام وهو الانقياد ; لأنه يسلم من الإباء والامتناع.[6] والمقصود به دين الإسلام.

المخاطر: جع خطر وهو: الإشراف على الهلاك.[7]

المخالفة: والخلاف: المضادة، وخالفه إلى الأمر: قصده بعد ما نهاه عنه ويدل عليه قوله تعالى: (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه).[8]

الواقع: ما حدث ووجد فعلا ويتميز عن المتخيل والمتوهم.[9]

---

[3] مختار الصحاح زين الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) تحقيق يوسف الشيخ مُحَمَّد المكتبة العصرية –الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

[4] المعجم الوسيط، (1/ 42).

[5] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (2/ 781).

[6] المصدر السابق، (5/ 1952) وانظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (3/ 90).

[7] المصدر السابق :(2/ 648). وانظر: المحيط في اللغة، (1/ 351).

[8] لسان العرب، لابن منظور، (9/ 90). انظر: المعجم الوسيط، (1/ 251).

[9] معجم اللغة العربية المعاصرة، (3/ 2482).

المعاصر: من المعاصرة والعصر هو الزمان وشاعر من في عصرنا.[10]

والعنوان مركبا يتكون من شقين:

فيقصد من الشق الأول: الجوانب والآثار المتحققة في التربية من خلال تقوية الأساس الفطري في الإنسان من المنظور الإسلامي.

ويقصد من الشق الثاني: ما يحصل من الأخطار والآثار السلبية في التربية بسبب ما يقع في الوقت المعاصر من السير بخلاف الفطرة والعمل بخلافها.

ثانيا: مفهوم الفطرة:

سبق تعريف الفطرة في اللغة بمعنى الخلقة: أما في الاصطلاح فقد اختلف العلماء في تعريفها على أقوال وذلك تبعا لاختلافهم في تحديد معناها اللغوي من جهة وتحديد معناها الاصطلاحي الذي جاء في سياقات متعددة من جهة أخرى ويمكن تقسيمها إلى أربعة أقوال:

– الأول: الفطرة شرعا هي **الإسلام** واستدلوا على ذلك بعدة أحاديث منها أن أبا هريرة ﷺ قرأ آية الفطرة عقب حديث كل مولود يولد على الفطرة.... وقد فسرها كذلك عدد من المفسر كما روي عن ابن عباس والضحاك في قوله تعالى: «فطْرَةَ اللَّه الَّتي فَطَرَ النَّاس علَيها» قال الدين: الإسلام «لا تبديل لخلق الله» قال: دين اللهَ الذيَ فطَر خلقه عليه»[11]

– الثاني: أنها **الخلقة** وذهب إليه الزمخشري وغيره حيث قال "والفطرة: الخلقة إلا ترى إلى قوله تعالى: {لَا تَبْديلَ لخَلْق اللَّه} والمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام غير نائين عنه، ولا مَنكرينَ لَه، لكونه مجاوباً للعقل مساوقاً للنظر الصحيح، منطبق على طبيعتهم التي خلقوا عليها انطباق المفتاح المحدد على قفله المحكم، حتى ولو

[10] المصدر السابق، (2/ 1507).

[11] الدر المنثور جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار الفكر – بيروت.

تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر، ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن". [12]

– الثالث: أنها **البصيرة** التي أودعها الله في الإنسان تساعده على جلب ما ينفع ودفع ما يضره، يستطيع بها أن يميز بين الخير والشر والحسن والقبيح ويصدر أحكاماً تقوم سلوكه وتحدد اتجاهه، قال ابن عطية رحمه الله "والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أي: «الفطرة» أنها الخلقة والهيئة التي في نفس الإنسان والتي معدة ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى ويستدل بها عن ربه ويعرف شرائعه". [13]

– الرابع: أنها **النظام** الذي أوجده الله تعالى في كل مخلوق، وهو ما ذهب إليه ابن عاشور فالفطرة هي ما خلقه الله تعالى في الإنسان جسداً وعقلاً، فمشى برجليه فطرة جسدية، ومحاولته أن يتناول الأشياء برجليه خلاف الفطرة الجسدية، واستنتاج المسببات من أسبابها والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية، ومحاولة استنتاج أمر من غير سببه خلاف الفطرة العقلية، وهو المسمى في علم الاستدلال بفساد الوضع. [14]

ومن هذه الأقوال نستنتج أن معاني الفطرة في الاصطلاح تدور على محوري الخلقة والدين ولا تنافي بينهما حيث أن الله تعالى خلق الخلق على فطرة مستعدة لقبول هذا الدين والدين جاء مكملا لما خلق عليه الإنسان وكلاهما من صنع الله تعالى، وهما متوافقان مع ناموس الوجود، وكل منهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه.

ثالثا: تحديد طبيعة الفطرة:

تعددت أراء العلماء في طبيعة النزعة التي جبل الإنسان عليها هل هي مجبولة على الخير مفطورة عليه؟ أم عكس ذلك؟ أم محايدة قابلة لكليهما؟ وذلك على ثلاثة

[12] الكشاف، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة –١٤٠٧هـ. وانظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) عبد الله بن أحمد النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

[13] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى –١٤٢٢ هـ 336/4.

[14] التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، 90/21.

آراء:

الأول: أن الفطرة خيرة في أصل الخلقة ليس بمعنى أن الإنسان لا يفعل الشر وإنما بمعنى أن الشر خارج عن طبيعته، فهو خلق خير يميل إلى الخير بصفة دائمة وأن فعل الشر منه خطأ أو جهل نتيجة لتأثير المجتمع الذي نشأ به والأقران والأصحاب وعوامل نفسية وتربوية أثرت بأفعاله وكونت سلوكياته، وتركُ الإنسان وما خلق عليه والاكتفاء بمساعدته للاستدلال والاسترشاد بهدي فطرته يوصله للحق وفعل الصواب، وإلى هذا الرأي ذهب جمهور علماء المسلمين واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) أي أن الأديان جميعا خير فِي أصلها. وكَذَلِكَ قَول اَلنبي ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة ... كما تولد البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»[15] فدل على أن الإنسان يولد على السلامة من الشرور، وكذلك دلت عليه إشارة الحديث حيث أنه لم يقل يؤسلمانه فدل على نفي الحياد.[16]

القول الثاني: أن الطبيعة الإنسانية محايدة لا تميل إلى خير أو شر بذاتها فليس في الإنسان قدرة ذاتية على التمييز بين الخير والشر، ولا ميل نحو أي منهما فبادئ أمر فطرته وطبيعته محايدة فيها استعداد لأن تكون خيرة أو شريرة بإرادته الخاصة أو بسبب عوامل خارجية وفق التربية وظروف البيئة، ولا يوجد في الإنسان خير بالفطرة أو شر بالفطرة مطلقا، وقد ذهب إلى القول بحيادية الفطرة عدد من علماء الإسلام والفلاسفة المتكلمين كابن عبد البر وابن مسكويه والغزالي في إحدى رأييه وغيرهم. واستلوا على ذلك:

بقوله تعالى «وهديناه النَّجدين» وقوله تعالى «ونَفْسٍ وما سوَّاها فَأَلْهَمها فُجورها وتَقْواها» فهذه الآيات تؤكد أن الإنسان بحكم فطرته الأولى خال من الخير أو الشر قابل لكليهما بحسب ما ينشأ عليه في بيئته الاجتماعية.

---

[15] متفق عليه من حديث أبي هريرة.

[16] دور التربية الإسلامية في الحفاظ على الفطرة السليمة وسبل تعزيزه من خلال المؤسسات التربوية، أسماء عدة عطا الله الصوفي، رسالة ماجستير بكلية التربية الجامعة الإسلامية بغزة،1432م.

وأن الآيات تمدح الإنسان تارة وتذمه أخرى وذلك يشير إلى قابليته للخير والشر، والدوافع التي تكمن وراء غرائزه أسلحة ذات حدين يمكن استخدامها في الخير والشر، والإنسان كائن اجتماعي يتفاعل مع محيطه تأثيرا وتأثرا وهو بفطرته قادر على إصلاح أفعاله وأخلاقه وعلى افسادها، وميسر له أن يسلك طريق الخير وطريق الشر ومفطور على اكتساب الأمرين في ابتداءه.

والذي يتبين أن كلا من الفريقين نظر إلى طبيعة الفطرة من جانب، ويمكن التوفق بينهما بالقول:

أن كل الغرائز معدة بصدور الخير عنها بحكم ضرورتها لدوام الحياة الإنسانية، وبحكم الغايات التي خلقت من أجل تحقيقها، فإذا نظرنا إلى أنها مجرد قوى وطاقات يمكن استخدامها في الخير، وفي الشر لكانت هذه القوى والطاقات كالآلات، أو كأن الشر منشود فعله كما هو الخير، ولكن إذا علمنا أن صانع الآلة صنعها لتحقيق الخير فإننا نقول أنها آلة الخير وتأتي بالخير إذا استخدمت في الغاية التي صنعت من أجلها، فكذلك هذه الفطر بما فيها من ميول ودوافع مختلفة خلقت وأعدت لصدور الخير عنها، ولهذا تصبح خيرة لصدور الخير عنها، والشر يأتي من سوء استخدامها في الغايات التي لم تخلق من أجلها، ولكن لا يمكن أن تصدر عنها الرزيلة لذاتها، وإنما تصدر عنها نتيجة لعوامل أخرى خارجة عن الفطرة.

الثالث: الفطرة تنزع للشر بأصلها تحتاج للتأديب والإصلاح لتكتسب الخير وتفعله، وهو ما نحى إليه بعض علماء النفس المعاصرين وفي مقدمتهم فرويد، ولا يخفى مخالفة هذا الرأي لعموم ما عليه النصوص الإسلامية التي كرمت بني آدم على المخلوقات ووضعت على عاتقه مهمة عمارة الأرض وكيف له عمارتها بفطرة تنزع للشر وتسعى للخراب، ولم نكن لنعرض لهذا الرأي مع مخالفته للنظرة الإسلامية إلا تنبيها إلى حجم المنهجيات المخطئة التي أخذت بهذا الرأي وقيمت وفقه سلوك الإنسان وأثرها في انتشار الفساد في مناحي الحياة الشتى وصولا إلى الشذوذ والإلحاد.

ونخلص مما سبق أن الفطرة هي الميل المركوز في أصل الخلقة لتفضيل الإسلام، والحق

والخير والأخذ به، ولما قد يعرض لها من تأثيرات قد تنحرف بها بعيدا عن الصواب فتضل وتشقى كان لابد من التربية والتوجيه والتأديب والإصلاح لعلاج العوارض التي تطرأ عليها وهذه الدراسة محاولة لتبيين بعض معالم الإصلاح الواجب سلوكه بعد ما آلت إليه أحوال المجتمعات اليوم.

المبحث الثاني

الأبعاد التربوية لتعزيز مبدأ الفطرة في الإسلام

إذا كانت الفطرة الإنسانية في أصلها تنزع إلى الخير وتتوق إليه فإنه لا يخفى ما في حفظ هذه الفطرة وتعزيزها من أثر في الإنسان في شتى جوانب حياته في نفسه ومجتمعه ومن حوله وما لتعهدها من أثر في مقاومة الضغوطات التي تنحرف بها وتشوه معالمها حتى تكاد لا تبين.

فعلى الإنسان أن يتعهد هذه البذرة بالرعاية والعناية حتى تثمر وتؤتي أكلها، وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً، وإنما يكمل ويقوى بالنشوء، والتربية بالغذاء. فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال تتوق له، وإنما تكمل بالتربية، وتهذيب الأخلاق، والتغذية بالعلم.

والناظر في المنهج الرباني يجد فيه ضالته فقد بين لنا مقومات حفظ الفطرة وسبل تعزيزها وتقوية أثرها في إرشاد الإنسان للصواب والخير النابع من ذاته ما يضمن له السعادة في الدنيا والنجاة في الأخرة. وهنا سنعرض للأبعاد التربوية الإسلامية التي تعزز فطرة الإنسان وتحفظها:

الأبعاد التربوية لتعزيز مبدأ الفطرة:

أولا: البعد الإيماني:

إن أول ما ينشأ عليه الإنسان من مفاهيم هو الاعتقاد، ويسعى الطفل مبكرا لبلورة صورة له عن الكون فيكثر السؤال ومنذ بدايات نطقه عن خالقه وسبب وجوده... ذلك

لأنه فطر على الايمان بوجود خالق موجود لهذا الكون يستحق العبادة والتسليم فكلما كانت فطرة الإنسان سليمة كان أقرب للصواب وكلما ابتعد وشذ بعد عن الايمان وضل الطريق، وكذا كان الإنسان المؤمن سليم الفطرة أقدر على حفظ دينه من الشبهات وصيانة نفسه عن الشهوات، ولذا كان في اختيار الله عز وجل الجزيرة العربية مهبطا للوحي حكمة جليلة لما يتمتع به أهلها من صفاء الفطرة والبعد عن المدنية وتعقيداتها الحياتية والفكرية والفلسفية ما جعلهم أقدر على فهم الرسالة وحملها والايمان بها والدفاع عنها.

لذا فأول ما يجب أن تتجه إليه الأنظار في التربية هو الجانب الإيماني الذي يوجه الإنسان نحو الغاية العظمى التي خلق لها وأن توضح له معالم الطريق وفق ما خلقه الله عز وجعل عليه وفطره من تقبل للحق والخير، فإذا ما وافق الاعتقاد والايمان ما وقر في نفسه وجبلت عليه فطرته سمت نفسه واطمأن قلبه وسعى في الارتقاء، وعلى العكس فإذا ما سار الإنسان بطريق يخالف فطرته ويعاندها فإنه لا يزال حائرا مترددا خائفا من المجهول يتقلب بين عذابات الضمير وآلام الروح التي قيدها بالشهوات فيغدو خبيث النفس مثقلا بأدرانها محبطا متقاعسا ضائع الهدف.

وقال تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» وبقدر قرب الإنسان من هذه المهمة تستقر روحه وينال سعادة الدارين وإن شذ عنها ضل وشقي في الأخرة والأولى.

وقد ذكر ابن القيم في تفسير آية النور «نور على نور» «نور الفطرة الصحيحة والإدراك الصحيح ونور الوحي والكتاب فينضاف أحد النورين إلى الآخر فيزداد العبد نوراً على نور، ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه من الأثر ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع في قلبه ونطق به، فيتفق عنده شاهد العقل والشرع والفطرة، ميزه بعقله، وفطرته، وذوقه، والذي جاء به الرسول ﷺ هو الحق لا يتعارض عنده العقل والنقل، بل يتصادقان ويتوافقان فهذا علامة النور على النور[17] وورد عن الشيخ محي الدين بن عربي عن معنى قوله تعالى «نور على نور» بأنه نور الشرع مع نور التوفيق والهداية وأنه لولا

[17] تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص396).

اجتماع هذين النورين ما كمل حال المكلف.[18]

ثانيا: البعد الأخلاقي:

وأما عن الجانب الأخلاق فإن فطرة الإنسان تألف الخير وتنزع إليه وتجانب الشر وتنفر منه، ولذلك لا يختلف الناس على مدح الأخلاق الحسنة كالصدق والامانة والوفاء مع اختلاف اجناسهم وتعدد مذاهبهم وعلى ذم السيئ منها كالكذب والخيانة، لذا كان من الواجب على المربين والدعاة أن يعززوا في نفوس متعلميهم موافقة هذه الاخلاق لفطرتهم وأن مخالفتها خروج عن الفطرة.

وما دامت الطبيعة خيرة فإنها تجد الهدوء والطمأنينة، وتشعر بالسعادة والراحة حين تفعل الخير، وسر ذلك أنها وجدت ما يوافق طبيعتها ويناسبها فرضيت. كما أنها حين تقترف الرزيلة تجد تأنيب الضمير وإحساس الألم، وحرقة الندم، ولاسيما عند مزاولتها أول مرة، ويدل على ذلك قول النبي ﷺ لوابصة حين سأله عن البر والإثم فأجابه «استفت قلبك البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان افتاك الناس وافتوك». [19]

ولهذا قال « أهل العلم لو قدرنا إنساناً قد خلق تام الفطرة، كامل العقل دفعة واحدة من غير أن يتخلق بأخلاق قوم، ولا تأدب بآداب الأبوين، ولا تزيا بزي الشرع، ولا تعلم من معلم. والناس بفطرتهم يعرفون حسن الأشياء، وقبحها. كما يعرفون انتفاعهم بالأكل والشرب، فلا يمكن لعاقل أن يسوى بين الرجيع والبول، والقيء والدم، وبين الخبز واللحم، والماء والفاكهة». [20]

ولهذا كان الميل إلى الخير مما أودع طبع الإنسان، والإنسان يفعل الخير بطبعه، وتكون فيه

[18] اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني ت 973 دار الكتب العلمية بيروت 1971م. ص 226.

[19] أخرجه: أحمد ٤/ ٢٢٨، والدارمي (٢٥٣٦).

[20] مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية مُحَمَّد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية – بيروت.

لذته، ولا يحتاج إلى تكلف في فعل الخير.

ثالثا: البعد الاجتماعي:

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه غير قادر على الاكتفاء بنفسه لتلبية حاجاته يولد ضعيفا في كنف والدين، فيساندانه ويتحملان عبئ تربيته وتنشأته لما فطرهما الله عليه من القيام بهذه المهمة وفي سيره بهذا الحياة يتبادل الأدوار مع الاخرين بين آخذ ومعطي ومتعلم ومعلم ومحتاجٍ ومحتاج إليه.

وقد أرسل الله الرسل ليظل الناس مستقيمين على هذه الفطرة التي خلقهم عليها، وبذلك تستقيم حياتهم ومصالحهم وفق حكمته وعدله فعلم الله أنهم لا يتعاطفون ولا يتواصلون ولا ينقادون بشكل سليم إلا بالتوجيه والتأديب والتأديب ليس إلا الأمر والنهي.

والتربية الإلهية القرآنية موافقة للفطرة التي فطر الله عليها العباد، وتؤدي إلى اجتماعهم على الإلفة والمحبة وتعمل على ما فيه سعادتهم لأنها من الخالق العادل الذي أنزل الشرائع موافقة لطبائع الناس وما خلقهم عليه.

لذا يجب أن يكون الانخراط الاجتماعي موافقا للفطرة والايمان الصحيح، وألا يكون مؤثرا للانحراف بكون أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وأن يجاهدانه أن يشرك بالله ما ليس له به علم.

رابعا: البعد الإنساني:

خلافا لكثير من النظريات التي كانت ولا زالت سائدة فإن قوام النظرة الإسلامية للإنسان تنطلق من الايمان بنقاء الفطرة الإنسانية وسعيها للرقي والكمال عند كل الناس على اختلافاتهم، والإسلام يعتمد في تشريعاته على هذه الخيرية في النفس الإنسانية ويحاول تحريك الإنسان بالإرادة الذاتية من داخله قبل أن يقوده بسلاسل القانون من خارجه.

وقد سن الإسلام من التشريعات ما يشبع حاجات الإنسان بكل الجوانب لكن بالطرق

الحلال، وعمل على تصعيد كل غرائزه وليس كبتها أو حرمانها بالرهبانية المبتدعة أو الزهد المتصنع.

كما أعطى الإسلام كل ذي حق حقه، في توازن وبلا إفراط أو تفريط، فللرجل حقه كإنسان وللمرأة حقها وللابن حقه، وللأب حقه، وللأم حقها وللضعيف حقه وللمريض حقه وللعاجز حقه، وللفقراء والمساكين واليتامى والمعوقين وأشباههم من المعوزين حقوق.

وأهم ما يميز دين الإسلام إقامة التوازن بين حق الأفراد وحق الجماعة إذ ليس من حق المجتمع الإسلامي أن يستحل ثروات الأفراد أو يستبد بها. فالظلم ظلم، والتسلط الظالم مرفوض في منطق العدالة الاجتماعية وبهذا جمعت النظرة الإسلامية بين الفردية والجماعية في وسطية وتوازن، ومنح الإسلام للفرد حقوقه وفرض عليه في المقابل واجبات مخصوصة للجماعة.» كل ذلك في مقابل التصورات والمجتمعات التي تطغى فيها حقوق الفرد فتنسحق أمامها حقوق أفراد كثيرين آخرين يمثلون معظم المجتمع، وفي مقابل التصورات والمجتمعات التي تنسحق فيها حقوق الفرد، فينتهي الأمر بالتصورين معا إلى مصير واحد هو سيطرة قلة باسم الفردية أو الجماعية.[21]

خامسا: البعد الجمالي:

وهذا البعد يتمثل في سنن الفطرة التي أرشدنا إليها رسول الله ﷺ في قوله: "الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب»[22] وهي تمثل طهارة الظاهر فهي الفطرة العملية التي تشتمل على كل ما كان متعلقاً بجمال المظهر عند الإنسان المسلم وحسن سمته، لما في ذلك من ملاءمة للفطرة السوية التي خلق الله الإنسان عليها.

ومن عناية الإسلام بالمظهر الحسن والهيئة الجميلة أمره للمسلم وحثه إياه للالتزام بسنن الفطرة التي تربي المسلم تربية جمالية تتمثل في الطهارة الحسية الجسدية، وهي مما يحبه الله

[21] الوسطية والاعتدال، محمد يتيم، مؤسسة الانتشار العربي.

[22] اخرجه البخاري، (7/ 160).

سبحانه. قال تعالى: ((واللَّهُ يُحبُّ المطَّهِّرِينَ)) [التوبة 108]. ولما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "تنظَفوا فإن َالإسلام نظيف" . ويتمثل ذلك في تطهير البدن بالوضوء والغسل فينعكس ذلك بدوره على المظهر الخارجي.

والتربية الجمالية تؤدي بدورها إلى تطهير النية والعمل والسلوك، فنظافة المظهر مدعاة لنظافة الجوهر، ونظافة الشكل مدعاة لنظافة الضمير، ونظافة الفرد مدعاة لنظافة المجتمع، وبذلك يتحقق بعد تربوي إسلامي عظيم متمثل في طهارة المجتمع المسلم طهارة معنوية من الفواحش والمعاصي والذنوب والآثام، فترتفع النفس المسلمة من رجس الفوضى وأوحال الوحشية إلى نظافة الأخلاق وتهذيب السلوك ومن ثم يتم تطهير الحياة الاجتماعية عامة حتى تصبح التربية شاملة للنفس والعقل والجسم.

على من تقع مسؤولية الحفاظ على الفطرة:

ينشأ الفرد بعدة أوساط اجتماعية تشكل حلقات وقد حمى الله عز وجل خلقه عن الوقوع بالمهالك بهذه الحلقات المتتالية ولا يتسرب الخلل إلى من إحداها إلى الأخرى إلا أشرف الإنسان على أخطار أعظم مبدأها كما حددت الأحاديث من الأسرة متمثلة بالأبوين الذين إما يحفظان الخير والايمان في طفلهما وإما ينحرفان به عن الصواب، تليها الدائرة القائمة على التعليم من مدرسة أو مسجد فيزرعان الخير ويعززان القيم ويرشدان للصواب والحق وينبهان عند الزلل والخلل الذي قد يتسرب من الحلقة الثالثة والأكبر وهي المجتمع حيث يحتوي نشاط الأفراد وتفاعلاتهم تلاقيهم وتنافرهم في صورة تتكامل وتتضافر ليتشكل خط سير المجتمع ككل بتوجهاته واهتماماته اعتقاداتهم وسلوكياته وهنا سنعرض للدور المناط بهذه الحلقات الثلاث:

أولا: الأسرة:

الأبوان على ثغر من ثغور حفظ الإسلام والفطرة لذا انيطت بها عدة مهام تربوية، من التربية الجسدية والعقلية والنفسية والاجتماعية والخلقية والدينية وجميعها تؤثر في فطرة الفرد سلبا أو إيجابا ولذا قال ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو

يمجسانه» فاعتبر الأسرة مسؤولة عن فطرة الطّفل، واعتبر أن كلَّ انحراف يصيبها مصدره، الأول الأبوان، أو من يقوم مقامهما من المربين.[23]

وذكر الأبوين إنما هو إشارة إلى العوارض التي تعتري الإنسان وهي كثيرة إلا أن الأبوين أول من يتنبه إليها ويباشر تربية الطفل عليها ولذلك كان للأبوين الأثر الكبير في حفظ هذه الفطرة ونقاءها.

فكما تلاحظ الأم أو الأب الشحوب بوجه طفلها كعلامة من علامات المرض لابد أن تلاحظ الذبول الذي قد يمتد في فطرته كعلامة من علامات تخلفها عن القيام بدورها كبوصلة نحو الصواب والرشد والحق فتعمل على تعزيزها وإحياءها.

يقول الغزالي رحمه الله تعالى «والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش، وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقوله كذلك «فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعي فإن الصبي بجوهرة خلق قابلاً للخير والشر جميعاً وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجنبين.[24]

ومن أهم الوسائل التي يلجأ إليها الأهل لتعزيز الفطرة والحفاظ على نقاءها تعريفهم إلى خالقهم وموجدهم عز وجل وتربيتهم على مراقبته وأن يكونا أسوة حسنة لأبنائهم وزرع الاخلاق الحميدة والتدريب المبكر على السوك السوي واحتضانهم ضمن بيئة آمنة وإبعاد كل ما يشوه فطرتهم ثم التوجيه الحسن برفق وتؤدة إذا ما تسرب إليه مفاهيم خطأ والعمل على تصحيحها على الدوام.

ثانيا: المدارس والمساجد:

للمدرسة الدور الأكبر في بلورة شخصية الطفل حيث لا يقتصر دورها على تلقين

[23] اصول التربية، خالد الحازمي، الطبعة الاولى، ص 321.

[24] إحياء علوم الدين، أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت، 74/3.

المعلومة وحسب بل وتشكيل طريقة التفاعل معها أيضا من خلال منظومة القيم التي يرسخها نظام التعليم ومن خلال تشكيل الوعي وتوجيه الميول وصقل الخبرات والمهمات، فإن كان الدور الذي تؤديه موافق لفطرة الإنسان وسجاياه زاد الخير خيرا وكان في ذلك حفظ للفطرة ونقاءها، وإن كان الجهل ببعض الأمور خير من علم لا ينفع تحشو به بعض المدراس عقول الأجيال عندها تتحول عن دورها المدارس التعليمي للرقي بالإنسان.

وتؤثر المدرسة في توجه المتعلم وسلوكه من خلال المعلم قدوة الطفل ومثله الأعلى، ومن خلال المنهج التعليمي وما يرسخه من مبادئ، ومن خلال تفاعله مع البيئة التعليمية بمكوناتها من أصدقاء ومشرفين ومعلمين.

وأما المسجد فيتميز بتلك الحالة القدسية التي تنشر جوا روحانيا يعمل على تنقية النفس البشرية من تلك الشوائب والأدران التي تنتج من تفاعل الفرد مع المجتمع فهو بذلك يهيئ بيئة روحية مناسبة تعمل على تربية الفرد.[25]

ثالثا: المجتمع:

يتولى المجتمع مهمة الحفاظ على الفطرة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعروف ما تعرفه الفطر وتتوافق عليه، والمنكر ما تكرهه وتنفر منه، وإذا ما ترك المجتمع هذا الأمر تسرب الخلل إلى جسده وظل ينخر فيه حتى يأتي عليه. وقد أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى هذا المعنى حيث قال «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا».[26]

وان لزم الجماعة مما يعين على حفظ الفطرة والوقاية من الشذوذ فقد ورد في الحديث: "يد

[25] نظرات حول بناء مجتمع المسلمين، مجموعة كتاب، دار القلم –بيروت، ص 216.

[26] أخرجه البخاري، (3/ 139).

الله على الجماعة، ومن شذّ شذّ في النار".[27]

المبحث الثالث

مخاطر الابتعاد عن الفطرة ومخالفتها في الواقع المعاصر

لقد كان الناس في السابق يعيشون في حدود مجتمعاتهم وبيئاتهم الخاصة فكان المجتمع يتولى مهمة تنقية نفسه مما قد يدخله من عناصر غريبة وأفكار غير مألوفة فيرد سيئها ويقبل جيدها بما يتناسب مع قيمه وعاداته؛ أما الآن ومع الحالة التي وصل إليها عصرنا الحالي من الانفتاح على الثقافات المختلفة وتحول العالم كله إلى قرية صغيرة لا يكاد يخفى على أحد منها شيء فإن الإنسان بات الآن أمام مواجهة كثير من الأفكار المختلفة والتيارات المتعددة التي كان في غنى عنها في السابق ووضعت الفطرة أمام مواجهة صعبة للحفاظ على نقاءها وصفاءها بل وأيضا للتقليل شيئا ما من سرعة الانحطاط والانحلال الذي وصلت إليه الأجيال، ولقد أشار نبينا عليه الصلاة السلام إلى ما يصل إليه آخر الزمن من مخالفة للفطرة وان ذلك سيكون من علامات قرب الساعة فقال عندما سأله جبريل عليه السلام عن عنها «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»،[28] وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «تأتي على الناس سنوات جدعات يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيهم الرويبضة» قيل: يا رسول الله وما الرويبضة؟ قال: «الرجل التافه يتكلم في أمر العامة»[29] وما ذاك إلا إشارة إلى تغير الطبائع ومخالفة الفطرة السليمة والذي سيؤدي بدوره إلى الانحطاط الأخير وقيام الساعة.

الوسائل المعاصرة في محاربة الفطرة:

[27] أخرجه الترمذي (٢١٦٧)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٨٠)، والحاكم في "المستدرك ١/ ١١٥.

[28] اخرجه مسلم، كتاب الايمان، 36/1 – رقم 8.

[29] قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه " المستدرك على الصحيحين للحاكم، (4/ 512).

أولا: أقران السوء:

قد تغلب الغريزة على بعض المراهقين فيقع في الخطأ نتيجة لضعف اعتراه أو شهوة غلبت عليه لكنه في هذه الحالة غالبا ما يعود فيصلح ما أفسد، لكن البعض قد يفعل ذلك عن قناعة وفكرة مغلوطة استهوته فمشى فيها وبنى عليها ثم بعد ذلك يألف الخطأ ويعتاد عليه، وهذا القسم من الناس لا يكتفي بفعل ما يستهويه بل تراه يدعو غيره لاعتناق فكرته والإيمان بها حتى لا يجد نفسه وحيدا في الميدان وحتى لا يظهر بمظهر الشاذ المنبوذ بل وحتى ليجد معه من يشاركه تلك الأفعال ويبع ويشتري معه في نفس السوق الذي يتاجر فيه. وهؤلاء أخطر على الفرد من أي شيء حيث إنه لا يجره إلى الخطأ فحسب بل يزرع في نفسه فكرة ربما تحتاج الكثير والكثير لتخليصه منها إلا أن يكون لديه فطرة سليمة تزحزحه عن السوء وتدفعه إلى الخير. ولذا حذر رسول الله ﷺ من قرناء السوء حيث قال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل». [30]

ثانيا: جماعات الضغط والمؤسسات التي تدعمها:

ويقصد بها: مجموعات من الأفراد التي تتلاقى في الأهداف وتستخدم أشكالًا متنوعة من التأييد للتأثير على الرأي العام. وقد لعبت هذه الجماعات دورا مهما في التغيير السياسي والاجتماعي ولا تزال.

وهي تختلف من حيث الحجم والتأثير والدافع؛ فقد يكون لبعضها كثيرا من الأهداف الاجتماعية الطويلة المدى، وقد يكون لبعضها أهداف مخصصة ومنها ما نشأ كرد فعل لقضية أو مسألة ما.

وتستخدم هذه الجماعات أساليب مختلفة لمحاولة تحقيق أهدافها، وتتضمن الضغط السياسي والحملات الإعلامية والحيل الدعائية والاستفتاءات والأبحاث وجلسات إحاطة السياسات.

ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه الجماعات تحظى بدعم مؤسسات تجارية قوية أو مصالح

[30] المستدرك على الصحيحين للحاكم، (4/ 188).

سياسية، وتؤثر بشكل كبير على الرأي العام.

وقد كان لهذه الجماعات الدور الأكبر في نشر الشذوذ والإلحاد والمثلية مستغلة امكاناتها المادية وقوتها الاجتماعية والسياسية لتمرير الكثير من القوانين التي تطبع مع كل فاسد مضيقة الخناق على كل محاولة اصلاح ورفض بشتى الوسائل والأساليب الخداعة وباتت تمارس التنمر على ما هو سوي ويتوافق مع فطرة الإنسان وخلتقه السوية التي جبله الله عز وجل عليها من حرص على الستر وبعد عن الفاحش من قول أو فعل.

وتنسل هذه الجماعات داخل المدارس والجامعات من خلال دراسات كاذبة مضللة لتؤثر في تربية الأطفال، فبتنا اليوم نرى مناهجا تعليمية تطبع الأجيال مع الشذوذ والإلحاد والمثلية والتعري والقبح والفساد بما دمر فطرة الجيل فلم يعد يميز الصواب من الخطأ يستهون طريق الحرام لكثرة رواه وجاذبية أبوابه متجاهلين المخاطر والويلات التي تنتظرهم ما أن تلج قدمهم عتبته.

ثالثا: الإعلام

والإعلام يأخذ دورا مضادا لما تقوم به الأسرة والمدرسة، ففي حين تبني الأسرة يقوم الإعلام بالهدم، وفي حين تعمل الأسرة والمدرسة على تنظيم أفكار الطفل ومراقبة ما يدخله من معلومات وما يناسبه منها وتهذيبها وتبسيطها يقوم الإعلام بتسريب كم هائل من المعلومات العشوائية وغير المنتظمة، والتي تكون في الأعم الغالب لا تناسب العمر الذي يستقبلها لتجعله أمام تيار منجرف من الأفكار المشوهة والمبتورة وبحر هائج من المفاهيم المغلوطة بل وترسخ في نفسه قبول كثير من المفاهيم المخالفة لفطرته بدعوى حرية التفكير والتعبير.

والإعلام يعمل على تحريك الغرائز وتسليط الضوء على العيوب وتعميم الأحكام على القليل النادر، ونشر السلبيات وفضح المستورات وكل هذا يؤثر في فطرة الإنسان ويجعله عرضة للانحلال الأخلاقي والازدواجية والتبعية وغيرها ذلك من الآفات.

وبسبب التطور الهائل الذي شهده قطاع الاتصال والإعلام الإلكتروني في العصر الحديث

أصبح التلاعب بالمعلومة وتغير القناعات أكثر سهولة وكل ذلك يقدم بصورة جذابة محببة للأطفال والشباب.[31]

ولا ننسى دورها في تأليب الرأي العام ضد المصلحين والدعاة حتى يغدو الصواب غريبا ومستهجنا من خلال صناعة نجوم يتحلون بالكثير من التفاهة وتصديرهم كقدوات للمجتمع يستشارون في أكبر القضايا وأهمها فلا يصدر عنهم إلا كل فساد وإفساد فكل إناء بما فيه ينضح.

رابعا: وسائل التواصل الاجتماعي الحديث:

وقد لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دورا كبيرا في التأثير على الشباب وتغيير قناعاتهم، حيث إنها عملت على سهولة ايصال المعلومات واختصارها واعتنت بالصورة والمؤثرات وكفت الأفراد عناء البحث عن المعلومة واستخراجها من بطون المكتبات كما أنها فتحت الباب على مصراعيه أمام الثقافات الأخرى والديانات المتعددة وعرضت كل شيء بين يدي الشباب دون نقد أو توجيه.

وكذلك قدمت هذه الوسائل المنابر لجميع الناس فلم تعد الشاشة تمج الرخيص والغبي، بل فتحت الستار للجميع يدلون بدلائهم فاختلطت المفاهيم واستهلكت العقول وصارت كل فكرة تقال مهما بلغت غرابتها وقبحها بل وشذوذها، وخرجت لنا مفاهيم مغلوطة عن التمييز والحريات وصار هم الناس كسر المألوف والإتيان بالجديد حتى على مستوى المجتمعات والمنظمات فصرنا نسمع بيوم عالمي للكسل ويوم عالمي للعراة ويوم عالمي للمرحاض!

خامسا: والعولمة الثقافية:

والعولمة الثقافية تعني: سعي الدول الكبرى لتنميط الشعور والسلوك البشري لينصبَّ كلُّه في قالب ثقافتها؛ فتستهدف هذه العولمة هويات الشعوب الأخرى وتسعى لإضعافها

[31] مفاهيم وأساليب تدريس التربية الإسلامية، فتحي سبيتان، الطبعة الأولى، ص 263.

وتذويبها لتنخرط بصفة دائمة في النمط المطلوب. والعولمة بهذا المعنى هي عدوان ثقافي على سائر الثقافات، أو هي سيطرة بعض الثقافات على سائر الثقافات بواسطة استثمار مكتسبات العلوم والثقافة في ميدان الاتصال والاقتصاد.

وقد عمل هذا النظام الثقافي الجديد على إعلاء ثقافة الاستهلاك والمتعة، وإشاعة مفاهيم جديدة كمفهوم النوع الذي لا يفرق بين الذكر والأنثى، والاعتراف بالعلاقات المخالفة للفطرةً والمحرمة دينياً كـ (المثلية)، وتغييب نظام القيم الاجتماعية لصالح منظومة قيم جديدة ترفع من القيم النفعية والمادية والإباحية، والرذيلة باسم الحرية؛ وهو ما يؤدى إلى تقويض بناء الأسرة. وهذه الآثار الضارة للعولمة تتنافى مع قيم وآداب الإسلام الذي اهتم بالأسرة اهتماماً كبيراً وأولاها عناية فائقة، وحرص على تماسكها وحفظها مما يقوض دعائمها، لأنها هي المحضن الأساسي للنشء وهي نواة المجتمع الإنساني.[32]

سادسا: الأبحاث المضللة:

وعلى حين تعمل كثير من الأبحاث العلمية والدراسات الجادة على تقديم المفيد النافع فيما يستجد من أمور ومهمات في العصر الحديث، تخرج لنا من حين لآخر دراسات خرجت عن الموضوعية العلمية وجعلت من أفكارها أساسا لتثبت أحقيتها وتزرع في عقول الناس بذور الإقناع بها فلا تكاد تسمع بفكرة جديدة إلا وتسبقها عبارة (وقد اثبتت دراسة...) ولست تدري ما القيمة العلمية لتلك الدراسة وهل أن صاحبها اتبع فيها الأسس العلمية الموضوعية وإذا كان كذلك فهل ثبت عموم تلك الحالة أم ندرتها إلى غير ذلك من التساؤلات التي قد تذهب بتلك الدراسة من أصلها!

وقد لعبت هذه الدراسات دورا كبيرا في مجال التبرير للشذوذ من خلال التلفيق في أسباب ظهوره وأن منها ما قد يرجع إلى عوامل طبيعية كما لعبت دورا كبيرا في تغير المصطلحات

[32] الثقافة وأثارها علي التنمية في مواجهة التحديات التي تواجه العالم الإسلامي، رمضان توفيق رمضان عبيد وانظر: مؤتمر العرب والعولمة عبدالاله بلقريز بيروت (المعرفة الجزيرة نت) وانظر نبيل محمود السهلي تأثير العولمة الثقافية على الأسرة المسلمة مجلة البيان الالكترونية العدد 387

التي تعبر عنه بشكل سلبي لتقدم بذلك مصطلحات بديلة هي أقرب للقبول!

مظاهر مخالفة الفطرة في الواقع المعاصر:

أولا: الإلحاد:

الإلحاد في لغة: هو الميل عن القصد، والعدول عن الشيء، ومصدره لحد، واللحد هو الشق في جانب القبر. وقد أطلقت العرب صفة الإلحاد على أي أحد أظهر بدعةً وإن كان مؤمناً بالله وبنبيه. وإطلاقها على الكفار والزنادقة أشهر وإن كانوا على أديان أو مذاهب أخرى.

أما في العصر الحالي فالإلحاد: هو مذهب فكري ينفي وجود خالق الكون، والملحد: هو المنكر للدين ولوجود الإله.[33]

ومع أن الإلحاد ربما يعبر عنه كمذهب فكري إلا أنه في الحقيقة يعبر عن حالة يصل إليها المرء بعد انحراف يبدأ بتغيير للفطرة وطمس على البصيرة ويتدرج في اشباع الرغبات والاغراق في المادة حتى يصل إلى حالة ينكر فيها وجود الغيبيات. وقد ورد في الحديث «وأني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً.[34]

ثانيا: الشذوذ:

ومن أبرز مظاهره في العصر الحديث الشذوذ الجنسي فلم يعد الشذوذ الجنسي أمراً مخفيا في كثير من المجتمعات والطبقات، بل إن هذا الفعل أصبح أمراً مجاهراً به وما ذاك إلا نتيجة حتمية لتشوه الفطرة وانطماسها.

في حديث النّواس بن سمعان ﷺ قال: قال رسول الله، ﷺ «ضرب الله مثلا صراطًا مستقيما، وعلى كَنَفي الصراط سوران فيهما أبواب مفتَّحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة،

[33] الإلحاد مشكلة نفسية –د. عمرو شريف.

[34] اخرجه مسلم (4/ 2197) رقم: ٢٨٦٥.

وعلى الصراط داعٍ يدعو يقول: يا أيها النَّاس اسلكوا الصراط جميعا، ولا تعوجوا، وداع يدعو على الـ صراط، فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك لا تفتحه فإنَّك إن تفتحه تلجه، فالصراط: الإسلام، والستور حدود الله، والأبواب المفتَّحة محارم الله، والداعي الذي على رأس الصراط كتاب الله، والدّاعي من فوقه واعظ الله يذكر في قلب كل مسلم»[35]

ثالثا: التغيير الخلقي:

تقدم معنا أن من أبعاد الحفاظ على الفطرة ما يتعلق بمظهر الإنسان الخارجي، وقد كان من مظاهر مخالفة تلك الفطرة هو السعي لتغير خلق الله تعالى بشتى وسائل التغيير، ليعبر بدوره عن تشوه وتغير في الفطرة من الداخل وقد أخبرنا تعالى بأن هذا الجانب مما توعد الشيطان بإغراء ابن ادم به حيث قال: {وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ١١٩} [النسّاء: 119].

آثار ونتائج مخالفة الفطرة في الواقع المعاصر:

أولا: الأمراض النفسية:

الفطرة هي القالب الذي خلق الله تعالى عليه الإنسان وجعلها موافقة مطابقة لكل خير لذلك فإن أي فعل يكون على مقتضاها تطمئن إليه النفس وتجد فيه الراحة والسكينة والارتقاء وكل ما خالفها من الأفعال تجد فيه ضيقا وحزنا لا ينفك عنه الإنسان حتى يعود إلى تلك الفطرة ونقاءها وقد رأينا ونرى كثير من الشباب يتخبط في الكآبة واليأس والقنوط الناتج عن مخالفة فطرتهم والسير في طريق المادة وقد أدى ذلك بكثير منهم إلى الضياع والحيرة والانعزال عن الحياة وربما الانتحار.

[35] قال الحاكم «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولا أعرف له علة ولم يخرجاه» المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 144).

وما أصدق الوصف النبوي لحال الإنسان الملتزم بشرع الله الذي هو عين الفطرة وحال المبتعد عنها التائه في طرقات البحث عن النجاة فعن عبد الله بن مسعود ﷺ «أن رسول الله، ﷺ خطّ خطًّا مربَّعا، وخطّ وسط الخطّ المربع، وخطوطًا إلى جانب الخطّ الذي وسط الخطّ المربع، وخطًّا خارجا من الخطّ المربع، فقال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا الإنسان الخطّ الأوسط، وهذه الخطوط إلى جانبه الأعراض تنهشه من كل مكان، إن أخطأه هذا، أصابه هذا، والخط المربع: الأجل المحيط به، والخط الخارج: الأمل»[36]

فكيف لمن نهشته الأهواء أن يستقر أو يستشعر بالسعادة والراحة.

ثانيا: التفكك الأسري:

لطالما ارتبط الابتعاد عن الفطرة بشقاء الحياة الأسرية فأول ما تنعكس الأثار بعد الفرد على أسرته فتصيبها بالتفكك والاختلاف وتسلبها الألفة والانسجام. ولا يقتصر ذلك على الأولاد فحسب من عقوق ونكران، بل على الوالدين بما بتنا نراه من صور تخلي الابوين عن مسؤولياتهما تجاه أولادها فكل يوم تطالعنا الأخبار بقصص يندى لها الجبين وتقشعر لها الأبدان تصور لنا حال أب أو أم فسدت فطرتهما وزال حرصهما على أبناءهما، وعوضا عن مشاعر الحب والحنان والعطف التي ترتبط الأبوين بأولادهما بتنا نرى استغلال الأبناء كأداة للانتقام حال الخلافات الأسرية، وغير ذلك من الصور التي تعكس ضياع أمومة الأم وأبوة الأب.

وإذا ما أصابت تلك العلة الأسرة جعلت من العلاقة الزوجية جحيما لا يطاق، وقد انعكس انتكاس فطرة المجتمع إلى تسارع تأكل الأسرة إلى أن تأخذ في الاختفاء تماما وتظهر أشكال بديلة من الأسرة كأسرة من رجل واحد وطفل أو امرأة واحدة وطفل أو

[36] وأخرجه البخاري (٦٤١٧)، والترمذي (٢٤٥٤)، والنسائي في "الكبرى (٩٢٠٠) –، وابن ماجه (٤٢٣١)، والدارمي ٣٠٤/٢ قال الترمذي: صحيح، وقال أبو نعيم: صحيح متفق على صحته.

رجلان وأطفال أو امرأتان وأطفال[37] وأثر أيضا على الرغبة بالزواج فعزف عنه كثير من الشباب وانتشر إنجاب الأطفال خارج نطاق الزواج.

ثالثا الخلل الاجتماعي:

وفي مقدمته الشذوذ ولا يقتصر الشذوذ على العلاقة بين الجنسين، بل هو أيضا شذوذ فكر وسلوك وعواطف شذوذ قيم واخلاقيات، بتنا نرى الترويج لها عن طريق نسف المسلمات وزعزعتها وقلب المفاهيم وتشويها بتقبيح حسنها وتحسين قبيحها وأداة كل ذلك إطلاق الغرائز عوضا عن ضبطها وترقيتها، وهذا الشذوذ مرض ووباء اجتماعي إذا ما فشا في مجتمع ظل ينهش بجسده حتى يصيبه جميعا ولذا فإن على المجتمع أن يحفظ نفسه مما قد يخالف الفطرة ويحاربها من خلال مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي من أجلى مظاهره في هذا العصر نشر الإيجابيات وتعميمها وإضعاف السلبيات وتقويمها وأن يكون للمجتمع مناعة وحصانة ضد الانحلال والانحطاط بحيث لا ينجر وراء ما يطلق من شعارات خداعة ودعاوي براقة فقد قال تعالى: {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}، وقال عليه الصلاة والسلام "لم تظهر فاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم.." [38]

وأخيرا: فان الحفاظ على الفطرة مسؤولية جماعية:

ولا يظنن أحد أن الحفاظ على الفطرة مسؤولية فردية وانما هي مسؤولية جماعية تقع على عاتق الجميع ابتداء من الفرد فالأسرة فالمجتمع ويشمل ذلك المجتمعين الواقعي الافتراضي.

وإن بناء مجتمع من خلال انسان بفطرة منحرفة يشبه إقامة بناء شاهق من رمل يهتز لأخف ريح وينهار مع أول هزة.

[37] الحداثة وما بعد الحداثة عبد الوهاب المسيري دار الفكر ص58.

[38] رواه ابن ماجه، (٢/ ١٣٣٢: ٤٠١٩).

بناء مجتمع من خلال انسان منحرف الفطرة هو الوسيلة الأسرع لتدمير كل هدف سامي وراقي للوجود الإنساني وقطع لكل طريق موصلة لسعادة الإنسانية وطمأنتنها.

بناء إنسان معوج الفطرة هي السلاح الأمضى في الحرب على القيم والمبادئ.

الخاتمة:

الحمد لله في الختام وعلى رسوله مُحَمَّد أفضل الصلاة وأتم السلام وبعد فقد خرج هذا البحث بنتائج نذكر أهمها:

- الفطرة هي الخلقة التي أوجد الله تعالى عليها الخلق وهي خير بأصلها إلا أنها تتأثر بالعوارض والأمور الخارجية.
- الدين والفطرة متوافقان ومتطابقان تطابق الصورة مع أصلها ولا شيء يحمي الفطرة مثل الإسلام.
- كلما اقترب الإنسان من فطرته كان أكثر راحة وطمأنينة وكلما ابتعد عنها زاد بؤسه وضيقه وشقاؤه.
- الحفاظ على الفطرة وتعزيزها مبدأ من مبادئ التربية الإسلامية وركن من أركانها.
- تعتبر الأسرة أول حصن من حصون حماية الفطرة وتساعدها المؤسسات التربوية ومن بعد ذلك المجتمع.
- الواقع المعاصر امتلأ بالمظاهر التي تخالف فطرة الإنسان وبالوسائل التي تساعد على ذلك ولا بد من التنبه من خطر ذلك على الفرد والمجتمع على حد السواء.
- الحفاظ على الفطرة ليست مسؤولية فردية فحسب بل هي مسؤولية جماعية.

أما التوصيات:

- الاهتمام بالدراسات التي ترسخ مبدأ الفطرة وتعزيزه.
- دعم المؤسسات التربوية التي تساعد على حماية فطرة الإنسان ونقاءه.

- التشجيع على الدراسات التي تساعد في كشف زيف الدعاوي الباطلة والأفكار المنحرفة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- كتب السنة النبوية
- إحياء علوم الدين أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) دار المعرفة – بيروت.
- الإسلام بين المادية والإسلام ـ مُحَمَّد قطب ـ ط 10. 1989م.
- اصول التربية، د. خالد الحازمي، 1222، الطبعة الاولى، ص 321
- الإلحاد مشكلة نفسية، عمرو شريف.
- الإيمان بالله في ضوء العلم والعقل ـ مُحَمَّد رشدي ـ دار القادري ـ ط 1992م.
- تأثير العولمة الثقافية على الأسرة المسلمة نبيل محمود السهلي مجلة البيان الالكترونية العدد 387.
- التحرير والتنوير مُحَمَّد الطاهر بن عاشور (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- التصور الإسلامي للإنسان ـ جعفر شيخ إدريس ـ المسلم المعاصر ـ العدد 12.
- التفسير الكبير ـ الرازي، دار إحياء التراث الإسلامي ،2001م.
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م.

- الثقافة وأثارها على التنمية في مواجهة التحديات التي تواجه العالم الإسلامي، رمضان توفيق رمضان عبيد.
- جامع البيان في تأويل أي القران، الطبري، دار الكتب العلمية بيروت، ط1992م.
- الجامع لأحكام القران ـ للقرطبي ـ دار إحياء العربي بيروت.
- الدر المنثور جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار الفكر –بيروت.
- علم النفس التربوي، مُحَمَّد مصطفي، دار الشروق، جدة، ط1998،1م.
- فطرة الله ـ مصطفي عزوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ـ 2006م.
- القران والطبائع الإنسانية ـ علي مُحَمَّد حسن العماري ط 1996م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل محمود بن عمرو، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي — بيروت الطبعة: الثالثة –١٤٠٧هـ
- لسان العرب ابن منظور، دار إحياء التراث الإسلامي.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد دار الكتب العلمية — بيروت الطبعة: الأولى –١٤٢٢ هـ.
- مختار الصحاح زين الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) تحقيق يوسف الشيخ مُحَمَّد المكتبة العصرية –الدار النموذجية، بيروت — صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ –٢٠٠٨ م.
- المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / مُحَمَّد النجار) دار الدعوة.
- مفاهيم وأساليب تدريس التربية الإسلامية، أ. فتحي سبيتان، الطبعة الاولى 263.
- مفتاح دار السعادة ابن قيم الجوزية مُحَمَّد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله دار الكتب العلمية –بيروت.

- مفهوم الفطرة الإنسانية في المنظور الإسلامي عبد الوهاب عيسى يوسف التوم مقال في مجلة رسالة العلماء.
- مؤتمر العرب والعولمة عبدالاله بلقريز بيروت (المعرفة الجزيرة نت).
- نظرات حول بناء مجتمع المسلمين أسس النشأة النهضة بين النص والواقع والتطلعات مجموعة مقالات لمجموعة كتاب ار القلم بيروت
- الوسطية والاعتدال تأليف مُحَمَّد يتيم مؤسسة الانتشار العربي.
- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني ت 973 دار الكتب العلمية بيروت 1971م.
- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) مُحَمَّد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان دار ومكتبة الهلال – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٠ هـ.
- تفسير البيضاوي، عبد الله بن عمر البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1 / ١٤١٨ هـ.
- دور التربية الإسلامية في الحفاظ على الفطرة السليمة وسبل تعزيزه من خلال المؤسسات التربوية، أسماء عدة عطا الله الصوفي، رسالة ماجستير بكلية التربية الجامعة الإسلامية بغزة،1432م.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)